2. التفكير الاجتماعي في عصر النهضة:

عاشت أوروبا قبل النهضة فترة عصبية نتيجة هيمنة رجال الدين و الكنيسة على مختلف شؤون حياتهم (و الذين كونوا غير مستقيمين يخدمون أهواءهم ومصالحهم الخاصة) فحاربوا رجال العلم و الفكر و حاكموهم بقسوة، فساد الجهل و الفساد في المجتمع.

غير أن العديد من المفكرين و العلماء في تلك الفترة حاربوا رجال الدين و كذا مختلف مظاهر التخلف التي كان تعيشها مجتمعاتهم فنزحوا إلى إيطاليا، و عملوا على تأسيس حضارتهم بعيدا عن أعين الكنيسة و رجالها، لتظهر بذلك تيارات فكرية و علمية و ثقافية عديدة، في الفترة الممتدة ما بين القرنين 14 و 16 و هو ما يعرف بعصر النهضة حيث بدأ في إيطاليا خلال القرن ال 14، ليبلغ هذا العصر قمة ازدهار خلال القرن 15 و 16 و من إيطاليا انتشرت النهضة إلى فرنسا، اسبانيا، هولندا.....و منها إلى سائر أوروبا،

بدأت أوروبا في التحرر من ظلمات النظام الإقطاعي و سلطة الباباوات، و سادت حركات فكرية وعلمية كانت تنادي بضرورة التعلم، البحث في كل ما يدور في المجتمع من ظواهر و تحليلها لفهم الواقع الأوروبي، كما مجدت الإنسان و جعلته محور لمختلف دراساتها فظهرت بذلك عدة مدارس تناولت الفرد و المجتمع في دراستها.

و يرى فيها العديد من المفكرين المقدمة العلمية الحقيقية لقيام و ظهور علم الاجتماع المعاصر و أهم هذه المدارس : [1]

- مدرسة العقد الاجتماعي
- مدرسة فلسفة القانون
- مدرسة التاريخ
- مدرسة الاقتصاد .

أ/ مدرسة العقد الاجتماعي:

يرى مفكرو هذه المدرسة أن الإنسان اجتماعي بطبيعته، لديه حاجات عليه تلبيتها باستمرار و أثناء سعيه لتلبية حاجاته يصطدم مع الآخرين و يتقاتل معهم لانتزاع حقوقه و تأمين احتياجاته، مما أدى إلى ظهور الاضطراب والفوضى في المجتمع و ما سمي قانون الغاب، الذي يؤمن بأن الحق و البقاء للأقوى، و من لا يتمتع بالقوة لا حق له.

الشيء الذي دفع بالأفراد إلى رفض هذه الحالة و الاتفاق الجماعي على إتباع النظام و المساواة في توزيع الحقوق و الواجبات، و بهذا وقعوا على عقد ينص على اختيار فئة حاكمة تسير شؤونهم و تدافع عنها و هي الدولة، يختارها الأفراد عن طريق الاستفتاء الحر ، كما تعمل على نشر مبادئ العدل والمساواة بين الناس .

بعد اختيار السلطة بطريقة الاستفتاء الحر تتولى توزيع المهام و الحقوق ، تتولى مسؤولية أداء الخدمات لأفراد المجتمع - تكون في خدمة المجتمع- .

هذا ما يسمى بالعقد الاجتماعي، الذي من خلاله تولدت جل العلاقات الإنسانية و الاجتماعية في المجتمع(علاقات بين الحكام و المحكومين، علاقات عمل، علاقات سياسية، اقتصادية....).

ب/ مدرسة الفلسفة الاقتصادية:

ظهرت خلال القرنين 18 و19، و ضمت العديد من النظريات الاقتصادية التي كان لها شأن كبير في ظهور الفكر الاجتماعي و علم الاجتماع، حيث أن الناحية الاقتصادية هي أهم مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي، من أهم المدارس المدرسة الفيزيوقراطية الفرنسية وأتباعها في انجلترا مثل أدام سميث ،

[1] - - إحسان محمد الحسن ،عدنان سليمان الأحمد،: المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص-ص109-111.

توماس مالتوس ، ديفيد ريكاردو ، جون ستيوارت مل .كان أهم زعيم لهذه المدرسة المفكر الفرنسي كيناي الذي كتب بحثا اقتصاديا سماه " الجدوى الاقتصادية " .

المفكر الفرنسي"كيناي" يوضح في بحثه " الجدول الاقتصادي" كيفية تداول الثروات في جسم المجتمع و شبه هذا التداول بالدورة الدموية في جسم الإنسان، و نتج عن فكره اعتبار الفرد دعامة المجتمع و سر التفوق الاقتصادي لذا لابد من دراسة الاقتصاد في ظل علم الاجتماع للتمكن من التفوق و الاستمرار بمختلف الأنشطة الاقتصادية، من جانب أخر حث الدولة على إزالة العوائق التي تحول دون قيام التجارة الحرة بين الأقطار.

ج/ مدرسة فلسفة القانون :

لمؤسسها "منتيسكيو" الذي نظر إلى القانون على أنه نشأ من طبيعة الاجتماع الإنساني، وهو بذلك خدم جانبا مهما من الدراسات الاجتماعية الا وهي جانب الاجتماع القانوني ، ويوضحها كتابه الشهير " روح القوانين " .

كان متنسكيو واقعيا في دراساته حيث ابتعد عن المثالية والخيالية واتجه نحو الدراسة العلمية القائمة على الوصف والتحليل في ظل البحث محاولا الوصول الى حقائق الاشياء .كان من اشهر اعماله " روح القوانين"

كانت بحوثه تدور حول فكرة أن المشرع الذي يضع القوانين لا يعمل وفق إرادته وبمقتضى غرضه ولكنه محكوم في هذا الصدد بامور خارجة عن ذاته وهذه الامور هي التي تحدد الطبيعة الموضوعية والاجتماعية للقوانين ويرجع ذلك الى مجموعة العوامل التالية :

- عوامل تتعلق بنظم الحكم و أشكال الحكومات التي تشرع القوانين في ظلها .
- عوامل تتعلق بالبيئة الجغرافية والمناخ والمساحة وعدد سكان الدولة .
- عوامل تتعلق بالظواهر الاجتماعية السائدة كالدين والعادات والتقاليد وطرق المعيشة والظروف الاقتصادية .

من جانب أخر اهتمت هذه المدرسة بدراسة العلاقة بين الدولة والمجتمع ، فالدولة في جميع الظروف والأحوال تخضع إلى القوانين ، كما أشارت إلى التضامن الاجتماعي الذي يحدث بين أفراد الجماعة أو المجتمع ، فلا يمكن ان يحدث دون وجود للقواعد الاجتماعية والأخلاقية التي يجب أن يسير عليها الأفراد في حياتهم ويكون مصدرها القانون .

د/ مدرسة فلسفة التاريخ :

يرى أصحاب مدرسة فلسفة التاريخ أن السير المستمرة للإنسانية لا يمكن أن تكون اعتباطية آو خاضعة للأهواء ولكنها تسير نحو غايات عقلانية ووفق قوانين محكومة . حاولت هذه المدرسة تفسير تاريخ الإنسانية ونظمها العمرانية وكشف القوانين العامة التي تخضع لها .

لما كان تاريخ الإنسانية هو عبارة عن تاريخ الوجود الإنساني والنشاط الاجتماعي في كل مظهر من مظاهر الحياة ، كان اهتمام فلسفة التاريخ متعلقا بدراسة الحياة الاجتماعية ومظاهر نشاطها ومراحل تطورها ورقيها .

كان أهم مفكر فيها "هيجل"- ألماني- و الذي يرى في أصل الاجتماع و الدولة هي العائلة، فالدولة هي وليدة العائلة و وجود عدة عائلات يولد مصالح اقتصادية مختلفة و بذلك علاقات اجتماعية مختلفة.

3. التفكير الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية:

كان للحضارة الإسلامية دور كبير في تأسيس التفكير الاجتماعي في المجتمع الإنساني ككل(فالدين الإسلامي جاء بجل مقومات التفكير الاجتماعي فهو دين اجتماعي، و النظام الاجتماعي في الإسلام جزء من الدين).

اهتم الدين الإسلامي بالعقائد و العبادات و وضع تشريعات دقيقة و منظمة يستند إليها الفرد في كثير من النظم الاجتماعية(الزواج، الطلاق، الميراث، الزكاة، الصوم...)و الضوابط الاجتماعية، العدالة الاجتماعية التكافؤ الاجتماعي، كما حث الدين على التفكير، الاجتهاد و طلب العلم. و كان المجتمع و ما يضم من قضايا اجتماعية من أهم ما تناولته الحضارة.

ساعد الدين الإسلامي الحنيف على تحقيق الوحدة والتماسك والتكامل بين أفراد المجتمع حيث نص على التكافل والتعاون والتآزر فكان من ابرز سيمات المسلم التعاون والتساند مع أخيه المسلم ، فالإسلام دين اجتماعي والنظام الاجتماعي جزء من الدين .

جاء ديننا الحنيف بالتشريعات الدقيقة التي تنظم حياة الأفراد ، فكانت النظم الاجتماعية التي تنظم المجتمع من خلالها، من أحكام للزواج والطلاق ، تنظيم وتوزيع للإرث ، الإنفاق فكان النظام الذي يمثل العدالة الاجتماعية والمساواة ، كما كفل الحرية وحقوق الإنسان الذي أعطاه القيمة والمرتبة العليا .

من جانب آخر حث الدين الإسلامي على طلب العلم و الاجتهاد في هذه المسالة لما من العلوم من دور كبير في ازدهار الأمم ورقيها ، فكان الاجتهاد في جمع القران الكريم وتفسيره ، الدراسات الفقهية وغيرها وفي العصر العباسي كانت العديد من الدراسات والمحاولات الفكرية التي شملت ميادين الفلك والطب ، الكيمياء كما ازدهرت الدراسات السياسية والقانونية وكذا الاجتماعية .

كان أهم من وضح و تناول الفكر الاجتماعي هو العلامة و المفكر "ابن خلدون"

اهتم ابن خلدون اهتماما شديدا بالمجتمع و ما يخصه من ظواهر حاول دراستها، و كان السباق إلى وضع الأسس الأولى لعلم الاجتماع و ما يختص به من ظواهر حيث، درس المجتمع دراسة تاريخية، إذ يرى في هذا الأمر ما يلي:

* يمر المجتمع بمراحل تاريخية متباينة، و كل مرحلة متصلة بالمرحلة التي تسبقها.

* استخلص قانونا أساسيا يحكم حركة المجتمعات الإنسانية و هو

قانون الأطوار الثلاثة

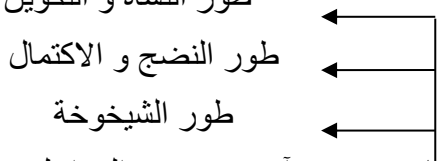

و هذا المجتمع يقوم على أنقاض مجتمع آخر مر بنفس المراحل.

ج) الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة، لا تنقطع إذ لا يوجد فناء أو موت اجتماعي، فحيث ينتهي مجتمع ما يبدأ مجتمع آخر.

2/ قسم المجتمع تبعا لدرجة التقدم الحضاري و الاقتصادي حيث يرى أن:

- العالم الاجتماعي ينقسم إلى نوعين من المجتمعات البشرية، النوع الأول هو المجتمعات الريفية (سماه مجتمع البدو) يتميز بقلة الكثافة السكانية، تماسك العلاقات الاجتماعية، يعتمد اقتصاده على الزراعة و العمل اليدوي. النوع الثاني هو المجتمعات الحضرية، تتميز بمستوى اقتصادي عالي غير أن العلاقات الاجتماعية تكون ضعيفة غير متماسكة.
- لا يمكن فهم طبيعة المجتمع الحضري دون دراسة المجتمع القبلي أو الريفي.
- كان يرى في المجتمع حقيقة لابد و أن تدرس و أن يكون هناك علم خاص "علم الاجتماع" و ما سماه "العمران البشري" يدرس كل ظواهره و يحلل الأسس الاجتماعية، و يقول أن المجتمع

شيء طبيعي و يخضع لقوانين عامة، لذا يدرس الظاهرة و أجزاءها و وظائفها، القوانين التي تخضع لها و تطورها.

كما كان ينادي بضرورة الفصل بين الحقيقة و الخيال، و ضرورة دراسة الظاهرة الاجتماعية بعيدا عن الأهواء و الآراء الشخصية.

من بين المفكرين كذلك نجد الفارابي حيث اهتم الفارابي بالدراسات الاجتماعية، و بحقيقة المجتمع و طبيعة الفرد الاجتماعية التي كانت تدفعه إلى التعاون و التضامن و احتياجه للعلاقات الاجتماعية و يمكن تلخيص ما جاء به هذا المفكر في:

قسم المجتمعات إلى نوعين:

- مجتمعات كاملة، هي تلك التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي و يتكافل أفرادها بحيث يلبون حاجاتهم و يحققون سعادتهم.
- مجتمعات ناقصة: هي مجتمعات لا يتوفر فيها التعاون و التكافل الاجتماعي و بالتالي يعيش أفرادها في الشقاء.

الاختصاص في العمل: حيث كان يرى أن كل فرد المجتمع مطالب بانجاز عمل معين و الاختصاص به و هذا العمل يجب أن يكون مطابقا مع طبيعة الشخص و استعداداته للقيام به.

3. تناول الخصائص الاجتماعية التي يجب أن تميز الرئيس في المجتمع أو الدولة كأن يكون ذكيا، قويا، لا يحب الظلم و وضح كذلك خصائص المدن الفاسدة في المجتمع و هي تلك التي تبتعد عن الضوابط الاجتماعية و الأخلاق، لا يمكن السلطة و السيطرة على أفرادها.

2. نشأة وتطور علم الاجتماع:

على الرغم من التاريخ الطويل للإنسان و معرفته بالحياة الاجتماعية منذ نشأته إلى إلا أن الفكر الاجتماعي اخذ فترة طويلة من الزمن ليصل إلى صياغة علم قائم بذاته و مستل بموضوعه، و قد كان للحضارات القديمة و الحركات الفكرية في أوروبا دور كبير في نشأة العلم و وجوده، حيث اعتمد العلماء المؤسسون له على ما تركته الحضارات القديمة من فكر اجتماعي و ما جاءت به الحركات الفكرية في أوروبا لوضع الأسس الأولى لعلم الاجتماع .

1.2/ نشأة علم الاجتماع :

بعد ما تطرقت إليه سابقا، و جل ما اعتمد عليه العلماء و المفكرين من تراث فكر اجتماعي لدى الحضارات القديمة و ما جاءت به الثورة و النهضة الأوروبية، من اهتمام بالعلوم و بالمجتمع و ما يضمه من ظواهر اجتماعية حيث أنها وطدت الصلة بين مختلف الميادين فيه، فلا يمكن الاهتمام بالصناعة مثلا دون فهم الواقع الاجتماعي و العلاقات بين الأفراد.

توصل المفكرون و العلماء إلى أن المجتمع لم يعد بحاجة لثورة جديدة، أو لتبديل نظام بآخر بل كانت الحاجة الملحة لوجود علم جديد يكون حلقة الوصل بين مؤسسات الدولة و المجتمع، و بهذا وضعت الأسس الأولى لظهور علم الاجتماع .

ظهور التسمية "علم الاجتماع" : [2]

ظهرت التسمية الأولى لهذا العلم على يد أوجست كونت الذي صاغ التسمية Sociologie سنة 1839 و بذلك كان الظهور الأول لهذا العلم، و الذي تناول المجتمع بالدرجة الأولى بطريقة علمية وموضوعية صحيحة، قسم **"كونت"** علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين هما: الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

[2] José Mariette : introduction à la sociologie, édition le manuscrit, France,2004,p :17.

تهتم الاستاتيكا بدراسة شروط وجود المجتمع وهي دراسة كيفية تداخل أجزاء المجتمع وتفاعلها مع بعضها أشار **"كونت"** في الصدد إلى أن الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع يتمثل في دراسة قوانين الفعل ورد الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي .

يشير إلى أن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما لو أن لكل منها وجود مستقل بل يجب النظر إليها على اعتبار أنه تربط بينها علاقة متبادلة وأنها تكون كياناً كلياً يفرض ضرورة دراسة علاقتها ببعضها البعض، إذن الاستاتيكا هي نظرية النظام الذي يشير إلى الانسجام والتوازن بين ظروف وجود الإنسان في المجتمع.

من جانب أخر وضح أن الديناميكا الاجتماعية تقوم بدراسة النمو –في حد ذاته- أي دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية ، الكشف عن مدى تطور المجتمعات الإنسانية ، أي هذا العلم يهتم بدراسة الاجتماع الإنساني من جهة و تطوره وانتقاله من حال إلى حال من جهة أخرى

مر تطور علم الاجتماع بعدة مراحل أهمها **:**

مرحلة الحركات الفكرية **:**

لعبت هذه الأخيرة دورا هاما في نشأة علم الاجتماع لما جاءت به من تطورات كبيرة لاسيما الاقتصادية منها و التي كان لها شأن كبير في بلورة هذا العلم و وضع أسسه و مجالاته .

حيث ان ظهور المعرفة العلمية و تقديمها لأفراد المجتمع و محاولة محو الأفكار البالية التي قدمتها الكنيسة. تشكل طبقة هامة من أصحاب الأموال و الثروات، امتلكت العلم و المال، و اتجهت نحو الاستثمار وتصحيح أوضاع المجتمع، اهتمت هذه الطبقة بالعلماء و احتضنت فكرهم لأن العلوم تخدم الصناعة و الاقتصاد و بحثوا عن علم يحل و يدرس المجتمع و مبادئه و التي كان الاقتصاد أهم واحد فيها.

مرحلة التحولات الاقتصادية والاجتماعية :

افرز العديد من العلماء و المفكرين الذين تكاثفوا لإيجاد حل للنظام المستبد و إزالته عن المجتمع، عديد الدراسات التي كانت تتجه نحو فهم مختلف الظواهر التي كانت سائدة آنذاك و دراستها دراسة علمية و بذلك دراسة المجتمع و وضع أسس له و بمختلف الظواهر فيه صاحب هذه المرحلة :

- تحول المركز الاجتماعي للإنتاج : فبانفجار الثورة الصناعية تغير مركز المجتمع من الريف إلى المدينة كما تطورت نظم المصانع وظهرت ظواهر جديدة مرتبطة بنظام العمل الجديد .
- تحرير قوى العمل : فبتغير مركز المجتمع الى المدينة و ما صاحب ذلك من هجرات من الريف إلى المدينة أصبحت هذه الأخيرة تحمل العديد من الطبقات العمالية (على اختلاف أنواعها) الأمر الذي أدى إلى حرية حركة الانتقال .
- ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة منها بالعمل في المصانع كالاجور وساعات العمل إضافة إلى خروج المرأة للعمل .

من كل ما سبق من تحولات وتغيرات كانت النشأة والظهور الأول لمفهوم علم الاجتماع كما وسبق الإشارة إليه .